

مواصفات البيت المسلم

البيت هو موطن سكن الأسرة واستقرارها، ومكان راحة أفرادها، واللجأ من تعب الحياة وكدها، ولذلك يفضل اختياره -إن تيسر- وفق مواصفات خاصة، لتحقيق السكينة والهدوء والراحة والاستقرار.

والاختيار للبيت بمواصفات خاصة بعد مشكلة اجتماعية كبيرة في كثير من مجتمعاتنا الإسلامية، وتؤثر في هذه المشكلة عوامل متعددة، منها عوامل اقتصادية، مثل ضيق دخل الزوج أو سعته، ومنها عوامل اجتماعية، وغير ذلك من العوامل النفسية والذوقية والعامة.

ولذلك فإن للبيت المسلم مواصفات يفضل مراعاتها كلما أمكن ذلك؛ حتى يكون بيتاً مائلاً مريحاً لمن يعيشون فيه، من غير مغلالة ولا سرف، وفي ضوء الممكن والمتاح، مع الرضا برزق الله وما قسمه.

ومن هذه المواصفات

البيئة الاجتماعية الصالحة: وهي أول ما تصعب الأسرة أمام عبثها وهي تختار بيئتها، فإن للبيئة أثر كبير ودورا خطيرا في سلوكيات أصحابها، وقد قيل في الأمثال: اختر الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدار. لذا يجب ألا يكون البيت في منطقة مشهورة بأفلات معينة، كتجارة المخدرات وأماكن الفسق والفحشاء؛ حتى لا يتأثر بذلك الأبناء.

وقد قيل: إن قيمة البيت تزداد بانتقاء جيرانه. وقد حكى ابن رجباً كان يسكن بجوار الإمام أبي حنيفة، وأراد أن يبيع بيته، فجاءه رجل ليشتريه منه، فقال صاحب البيت: أبيعك البيت بلحن، وأبيعك جوار أبي حنيفة بلحن آخر.

ولا كان الجيران مسلمين يعبرون لتجبرون حلقولهم، ويحبون لهم ما يحبون لأنفسهم، فمن يؤذي أحدا، ولن يُلقوا بأفئذهم أمام البيت. ولن يحلوا ضحيا، ولن يفعلوا ما يجرح المشاعر، وإنما يتسامحون مع الصغائر ويعتدلون عن الدنيا؛ ليكونوا على مستوى إسلامهم ودين إيمانهم.

والبيت المسلم يراعى جيرانه -أيضا- ويحفظ لهم حقوقهم، ويتحسس أحوالهم وحاجاتهم، ويعينهم ويرسلهم، ويحفظ أعراسهم، وذلك لعظم حق الجار، قال صلى الله عليه وسلم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار؛ حتى ظننت أنه سيورثه). (متفق عليه).

والبيت المسلم يلتزم بحقوق جيرانه كاملة، كما وصفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث رأى أنه قال: (اتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعتنه، وإن استنصرك نصرته، وإن افتقر سترته، وإن مرض عتته، وإن

مات تبعته جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيتة، ولا تشغل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإن اشريت قاذية فاقده له، فإن لم تفعل فادخلها سراً، ولا يخرج بها بقتار قدر (رائحة طعمك) إلا أن تعرف له منه، ثم قال: اتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده، لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله) (البيهق).

الموقع: وهو من أهم الأمور التي تجعل البيت مثالياً، ويحسن إذا بنوا في موقع البيت عدة أمور، منها توافر الخدمات ومتطلبات المعيشة -ما أمكن ذلك- كالطبرياء، والصرف الصحي، والماء الصحي، ويحسن أن يكون قريبا من عمل الزوج ومدارس الأبناء وأسواق الخدمات المختلفة، ففي ذلك تيسر لحركة الحياة واقتصاد للجهد والوقت، أن يكون البيت في منطقة هادئة -إذا تيسر ذلك- بعيدا عن الشوارع الرئيسية والميادين العامة، فكلما تحقق ذلك؛ تمتع أهل البيت بسكن هادئ وراحة نفسية.

الضاحية الصحية: وذلك يتحقق بوجود الإضاءة الكافية والهواء النقي في موقع البيت، وأن يكون بعيدا عن المستنقعات والبرك وأماكن تجمع المهملات، وضاح بعض الحالات الخاصة التي شرعى عند اختيار السكن، فإذا كان في الأسرة مريض بالقلب أو يشل الأطفال مثلا يجب أن يكون السكن في طابق غير مرتفع، خاصة إذا لم يوجد مصعد كهربى، كذلك يستحب ألا يكون السكن في الأماكن الصناعية الملوثة بالأتربة والدخان.

المساحة: مهما كانت مساحة البيت المسلم صغيرة، فإن المראה يعكها أن تستلطر هذه المساحة لتحقيق الراحة والسكينة لأفراد البيت. فالبيت الواسع الفسيح غير المخطط بيت لا راحة فيه، والبيت الضيق الصغير مع حسن الترتيب وجودة استعمال مرقفه بيت ملؤه الراحة والسعادة، ولا شك أن كل إنسان يمتنى أن يعيش في سكن فسيح رحب، فالسكن الواسع من الأمور التي تسعد الأسرة وتريحها نفسيا وصحيا، التي تجعل البيت مثاليا، ويحسن إذا بنوا في موقع البيت عدة أمور، منها توافر الخدمات ومتطلبات المعيشة -ما أمكن ذلك- كالطبرياء، والصرف الصحي، والماء الصحي، ويحسن أن يكون قريبا من عمل الزوج ومدارس الأبناء وأسواق الخدمات المختلفة، ففي ذلك تيسر لحركة الحياة واقتصاد للجهد والوقت، أن يكون البيت في منطقة هادئة -إذا تيسر ذلك- بعيدا عن الشوارع الرئيسية والميادين العامة، فكلما تحقق ذلك؛ تمتع أهل البيت بسكن هادئ وراحة نفسية.

الضاحية الصحية: وذلك يتحقق بوجود الإضاءة الكافية والهواء النقي في موقع البيت، وأن يكون بعيدا عن المستنقعات والبرك وأماكن تجمع المهملات، وضاح بعض الحالات الخاصة التي شرعى عند اختيار السكن، فإذا كان في الأسرة مريض بالقلب أو يشل الأطفال مثلا يجب أن يكون السكن في طابق غير مرتفع، خاصة إذا لم يوجد مصعد كهربى، كذلك يستحب ألا يكون السكن في الأماكن الصناعية الملوثة بالأتربة والدخان.

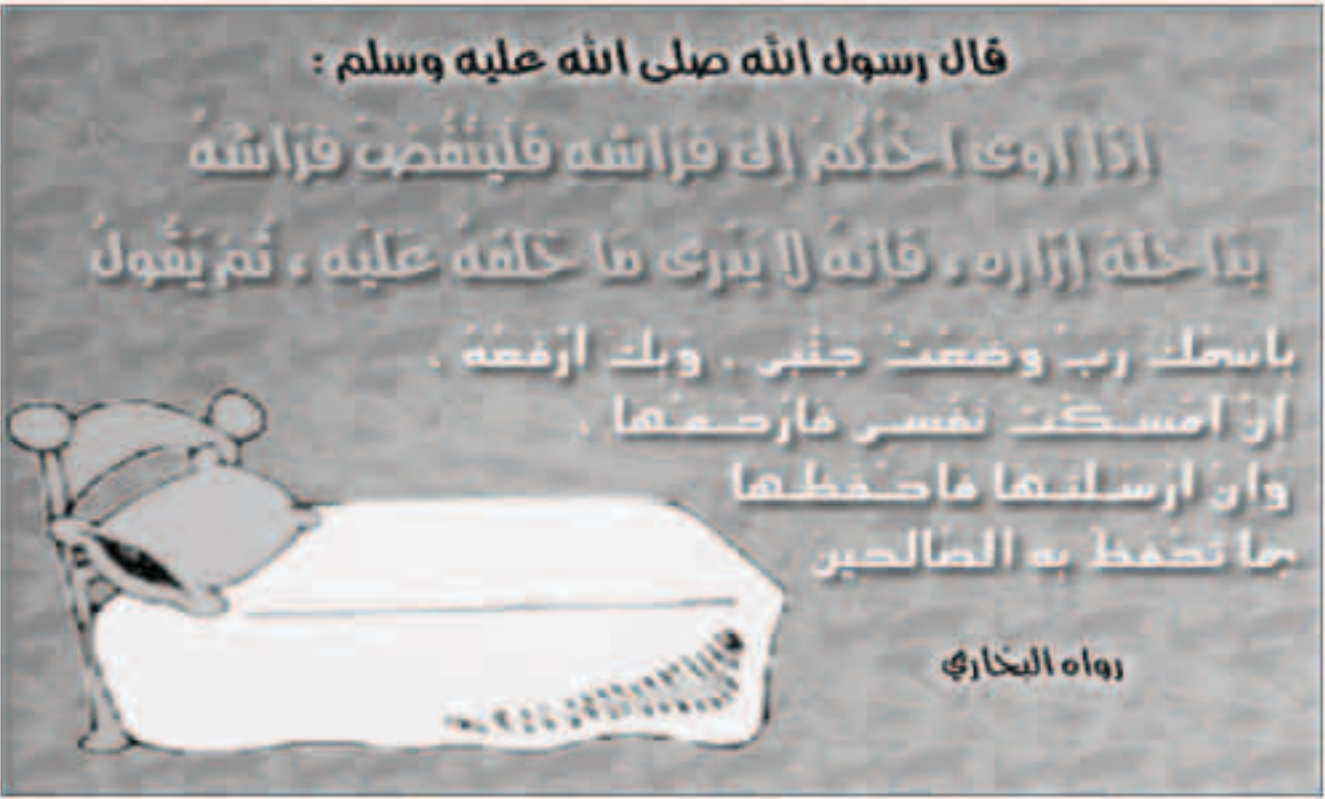
كما أن انشاس المكان -إن تيسر- يعطي الفرصة لتخصيص حجرة لأشخاص الضيوف؛ كما يساعد على توفير الراحة لهم، وحسن استقبالهم، ويكفل الراحة لأهل البيت وعدم التضيق عليهم، ويعطي الفرصة لتخصيص حجرة للأطفال لتحقيق الراحة لهم، وتكون مكانا مذكرتهم ولهميب. والمساحة الملسعة تساعد على أن تلحق بالبيت حديقة تحيط بجوانبه، تكون مكانا للعب الأطفال ومرحهم، وتعطيهم الفرصة للاهتمام بالزرع والعناية به وتسمية، وكذلك فإن وجود البيت في شارع واسع ونظيف يعطي

فرصة أفضل للتبوية والإضاءة الجيدة، وتكون المسافة بيته وبين البيوت المجاورة مناسبة؛ فلا تتكشف عورات البيت. وقد لا تسمح الظروف بتوافر السعة في البيت، وهذا لا يعد عذرا ألا يكون البيت جميلا مريحا، فالنسيق الجيد الصغير مع حسن الترتيب وجودة استعمال مرقفه بيت ملؤه الراحة والسعادة، ولا شك أن كل إنسان يمتنى أن يعيش في سكن فسيح رحب، فالسكن الواسع من الأمور التي تسعد الأسرة وتريحها نفسيا وصحيا، التي تجعل البيت مثاليا، ويحسن إذا بنوا في موقع البيت عدة أمور، منها توافر الخدمات ومتطلبات المعيشة -ما أمكن ذلك- كالطبرياء، والصرف الصحي، والماء الصحي، ويحسن أن يكون قريبا من عمل الزوج ومدارس الأبناء وأسواق الخدمات المختلفة، ففي ذلك تيسر لحركة الحياة واقتصاد للجهد والوقت، أن يكون البيت في منطقة هادئة -إذا تيسر ذلك- بعيدا عن الشوارع الرئيسية والميادين العامة، فكلما تحقق ذلك؛ تمتع أهل البيت بسكن هادئ وراحة نفسية.

الضاحية الصحية: وذلك يتحقق بوجود الإضاءة الكافية والهواء النقي في موقع البيت، وأن يكون بعيدا عن المستنقعات والبرك وأماكن تجمع المهملات، وضاح بعض الحالات الخاصة التي شرعى عند اختيار السكن، فإذا كان في الأسرة مريض بالقلب أو يشل الأطفال مثلا يجب أن يكون السكن في طابق غير مرتفع، خاصة إذا لم يوجد مصعد كهربى، كذلك يستحب ألا يكون السكن في الأماكن الصناعية الملوثة بالأتربة والدخان.

كما أن انشاس المكان -إن تيسر- يعطي الفرصة لتخصيص حجرة لأشخاص الضيوف؛ كما يساعد على توفير الراحة لهم، وحسن استقبالهم، ويكفل الراحة لأهل البيت وعدم التضيق عليهم، ويعطي الفرصة لتخصيص حجرة للأطفال لتحقيق الراحة لهم، وتكون مكانا مذكرتهم ولهميب. والمساحة الملسعة تساعد على أن تلحق بالبيت حديقة تحيط بجوانبه، تكون مكانا للعب الأطفال ومرحهم، وتعطيهم الفرصة للاهتمام بالزرع والعناية به وتسمية، وكذلك فإن وجود البيت في شارع واسع ونظيف يعطي

الضاحية الصحية: وذلك يتحقق بوجود الإضاءة الكافية والهواء النقي في موقع البيت، وأن يكون بعيدا عن المستنقعات والبرك وأماكن تجمع المهملات، وضاح بعض الحالات الخاصة التي شرعى عند اختيار السكن، فإذا كان في الأسرة مريض بالقلب أو يشل الأطفال مثلا يجب أن يكون السكن في طابق غير مرتفع، خاصة إذا لم يوجد مصعد كهربى، كذلك يستحب ألا يكون السكن في الأماكن الصناعية الملوثة بالأتربة والدخان.



البيت من الأمور المهمة التي تجعل منه بيتا صحيا، ويمكن أن تتحقق التبوية الجيدة عن طريق وجود عدد مناسب من النوافذ تسمح بدخول الهواء وتجدره يومئاً؛ ما يساعد في القضاء على الميكروبات والحشرات والروائح الكريهة. لذلك يجب فتح النوافذ مع مراعاة التوقيت المناسب، فإذا كان البيت يقع في منطقة صناعية فلا يكون البيت واسعاً لكنه إذا كان مضطرباً وغير منظم أو غير منظم بداً صيفاً من عجا.

وهذاك عدة وسائل تساعد على الإحساس بالاتساع والتغلب على عبوب ضيق المكان، ومنها: - ارتفاع جدران البيت.

- طلاء السقف بلون فاتح إذا كان منقطعا، وطلاء الحوائط بالوان فاتحة.

- تزيين الجدران بصور طبيعية للبحار أو الأشجار، واستخدام السرايا في بعض الطرقات أو الأساكين؛ لتعطي إحساسا بالاتساع.

- استخدام ورق جائط خطوطه أفقية إذا كانت الحجرة ضيقة، وورق خطوطه رأسية إذا كان السقف منخفضا.

- تقليل عدد الحواجز الثابتة، مثل الحوائط، واستبدالها بحواجز متحركة، مثل الستائر أو الحواجز الخشبية (البرفانات) التي يمكن تحريكها عند الحاجة أو استقبال عدد كبير من الضيوف، أو ما شابه ذلك.

- استعمال بعض قطع الأثاث لأكثر من غرض.

- استخدام أثاثات ذات أحجام مناسبة لمساحة البيت، وعدم الاكتثار من الأثاثات في البيت الضيق.

التبوية: التبوية الجيدة في البيت من الأمور المهمة التي تجعل منه بيتا صحيا، ويمكن أن تتحقق التبوية الجيدة عن طريق وجود عدد مناسب من النوافذ تسمح بدخول الهواء وتجدره يومئاً؛ ما يساعد في القضاء على الميكروبات والحشرات والروائح الكريهة. لذلك يجب فتح النوافذ مع مراعاة التوقيت المناسب، فإذا كان البيت يقع في منطقة صناعية فلا يكون البيت واسعاً لكنه إذا كان مضطرباً وغير منظم أو غير منظم بداً صيفاً من عجا.

وهذاك عدة وسائل تساعد على الإحساس بالاتساع والتغلب على عبوب ضيق المكان، ومنها: - ارتفاع جدران البيت.

- طلاء السقف بلون فاتح إذا كان منقطعا، وطلاء الحوائط بالوان فاتحة.

- تزيين الجدران بصور طبيعية للبحار أو الأشجار، واستخدام السرايا في بعض الطرقات أو الأساكين؛ لتعطي إحساسا بالاتساع.

إن مما يمتناه كل مؤمن في هذه الدنيا التيقن من حب الله عز وجل، فتجده في كل مواقف حياته يتلمس هذا الحب ويبحث عنه، فإذا وقع في أمر ما تدبره وحاول الوقوف على خفاياه باحثاً دون ملل عن أثر حب الله له، فإذا أصابته مصيبة صبر لله تعالى واستشعر لطف الله عز وجل فيها حيث كان يمكن أن يأتي ولعها أشد مما أنت عليه، وإذا أصابته متعة خبر وعطاء شكر الله سبحانه وتعالى خائفاً من أن يكون هذا العطاء استدراجاً منه عز وجل فخديماً؛ قيل: «كل متعة وألفت هواك فهي محبة وكل محبة خالفت هواك فهي متعة»، لهذا فإن المؤمن في حال من القرب والمحاسبة لا تكاد تفارقه في تبارده وليله، فليما يقن الكافر أن عطاء الله إنما هو دليل محبة وتكريم، يؤمن للمسلم ألا علاقة للمتع والعطاء بالحب والبغض لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب» رواه الترمذي، بل إن حب الله لا يستجلب إلا بمنافع متجهة إليه، ورد ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فإن اتباع هذا المنهج هو الذي يوصل إلى محبة تعالى: «لأن حقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب، وهي مولفته فيما يحب ويبغض ما يبغض، والله يحب الإيمان والتقوى ويبغض الكفر والمنق والمفسدين، طب القلوب، ابن حنبل، ص183، والوصول إلى محبة الله عز وجل يستوجب أيضاً أن يترافق حب العبد لله مع حبه لرسوله عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: «لن أن تكتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، آل عمران: 31.

مراتب حب الله عز وجل

إن حب الله لعباده هو على مراتب ودرجات متصلة بحب العبد لله، فكلما زاد حب العبد لله ورسوله زاد حب الله عز وجل لهذا العبد، وأول من يستحق هذا الحب هم أنبياء الله سبحانه وتعالى الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى خلافة فقال عز وجل: «واتخذ الله إبراهيم خليلاً، النساء: 125، وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» أخرجه الحاكم. والخلة «أخص من مطلق المحبة حيث هي من كمالية، وتخليها الحب حتى يكون المحبوب بها محبوباً لذاته لا شيء آخر»، طب القلوب، ص229.

ويأتي بعد ذلك حب المؤمني وهم أولياء الله المقربن. ويتفاوت المؤمنون في هذا الحب بتفاوت أفعالهم التي تقرّبهم إلى الله عز وجل، قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرواً»، رواه البخاري. وهذا التقرب يدرك العبد كميته بالاتّباع على أوامر الله ونواهيه، لينفذ الأمر ويتجنب النهي، ويترك المنكروه، كما يفعل للمحبوب، جاء في الحديث القدسي «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه» وقال عز وجل في تمة هذا الحديث القدسي «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوازل حتى أحبه، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»، رواه البخاري.

وقد عدد القرآن الكريم الخصال التي تقرب المؤمن إلى الله وتجعلهم يؤوّن بحبه، فورد في كتابه الكريم أنه سبحانه وتعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين ويحب المتوكلين، ويحب المتسطين، ويحب المحسنين.

فعلى العبد أن ينشئ علاقته بربه وأن يحاول جاهداً أن يتفاد بالصفت التي تكريه منه عز وجل وتقوى في نفسه محبته، فإذا قويت هذه المحبة أصبح ممن يستغنون حب الله ورضوانه

يكفيك حب الله عز وجل

التكاس حب الله عز وجل

يستطيع المؤمن الذي اتخذ من القرآن والسنة منهجاً لحياته أن يتلمس أثر حب الله ورضاه في نفسه، وذلك بطرق مختلفة أهمها رضاه عن الله عز وجل، فمن كان راضياً عن الله عز وجل كان ذلك من أبلغ الدلائل على رضا الله عنه، وقد أكد ابن قيم الجوزية أن العبد يستطيع أن يتلمس أثر حب الله في قلبه في مواطن عديدة منها:

«الموطن الأول: عند أخذ المضجع حيث لا يتم إلا على ذكر من بحبه وشغل قلبه به.
الموطن الثاني: عند انتباهه من النوم، فأول شيء يسبق إلى قلبه ذكر محبوبه.
الموطن الثالث: عند دخوله في الصلاة، فإنها منك الأحوال وميزان الإيمان... فلا شيء أهم عند المؤمن من الصلاة، كأنه في سجن وغر حتى تحضر الصلاة، فتجد قلبه قد انتسح والشرح واستراح، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلال: «يا بلال أرخا بالصلاة».

الموطن الرابع: عند الشدائد والأحوال، فإن القلب في هذا الوطن لا يذكر إلا أحب الأشياء إليه ولا يهرب إلا إلى محبوبه الأعظم عنده».

وتزداد الحاجة إلى الثبات في هذا الوطن الأخير تكون المؤمن أشد عرضة للبلاء من غيره من البشر، خاصة إذا أراد أن يصل إلى الحب المثالي بينه وبين الله عز وجل.

فوائد حب الله عز وجل

إن أول فائدة تعود على المؤمن الذي يحبه الله عز وجل هي أن يجعله من عباده المخلصين؛ فيصرف بذلك عنه السوء والفحشاء، قال تعالى: «كذلك لأصرف عن السوء والفحشاء إنه من عبادة المخلصين» يوسف: 24.

وهذا الإخلاص يحصل للمقربين الذين جاهدوا في الله حق جهادهم، أما المؤمن فيقال من هذا الإخلاص على قدر قربه من الله، إلا أن علامات حب الله عز وجل أن يجعل الله له لمحبة في أهل الأرض، جاء في صحيح مسلم تعليقاً على قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً، مريم: 96. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: أيتي أحببت فلاناً فأحبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض».

ومن فوائد حب الله عز وجل التي يجنيها المؤمن في الآخرة غفران الذنوب، لقوله تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» (آل عمران: 31).

ومنها الفوز والنجاة من عذاب يوم القيامة، يروى أنه سئل بعض العلماء أين تجد في القرآن أن الحبيب لا يعذب حبيبه ؟ فقال في قوله تعالى: «وأولئك الأنبياء والنصارى نَجِّنْ أبناء الله وأجداؤهُم لَئْلاَ يَكُونُوا يَدِينُوا بِأَهْوَاءِهِمْ وَلَنُرِشَهُمْ لَئْلاَ يَكُونُوا بِلِهْوَ الدُّنْيَا يُغْوُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يُغْفِرُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» المائدة: 18، لهذا أدرك علماء الإسلام أهمية حب الله عز وجل فكانوا يسألونه تعالى هذا الحب في دعائهم. ومن أدعيتهم في هذا المجال: «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني إلى حبك، اللهم ما رزقني مما أحب فأجعلهُ قوّة لي فيما تحب، وما رزيت عني مما أحب فأجعلهُ فرغاً لي فيما تحب، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من أهلي ومالي ومن الماء البارد على القلب، اللهم حببني إلى ملائكتك وأنبيائك ورسلك وعبيدك الصالحين، اللهم اجعلني أحبك بأقلى ثمة وأرضيك بجهدى كله، اللهم اجعل حبى كله لك، وسعيني كله من مرضاتك» فليس بعد هذا الدعاء إلا التأكيد على أن من لم يفقه حب الله فلا شيء يكفيه، ومن لم يستغن بالله فلا شيء يغنيه.

ثقة المؤمن بوعد الله أشد ما تكون في المحن



وكان الرسول قد كتب صحيفة لعطفان فأخذها سعد ومحا ما فيها وقال: ليجهنوا علينا وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعبيته والحارث: أرجعاً بيننا وبينكم السيف. إنه موقف يتكفّل من جواهر المسلمين وثقاسة معدتهم وصلابة عودهم وحقيقة انصلاهم بالله ورسوله وبالإسلام وثقاتهم في سبيل مبدئهم، أنه انصاح بفرسه إيمانهم الحق ببعديتهم الراسخة وقلتهم التي لا حدود لها بوعد الله وأنهم أقوى ما يكونون صلة بالله ولقاة بوعد إبان المحن والشدائد والنوازل التي لم تردّ عودهم إلا صلابة ونفوسهم إلا صفاء وقلوبهم إلا يقيناً.

إنه موقف بين من يعتلي به روح المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر والصمود والاحتمال ومن رغبة جياشة في قهر العدو مهما تكثرت قواته وكثر سلاحه أو تعدد حلفاؤه وصديق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول: (إن الله تعالى ليحرب عبده باليلاء كما يحرب أحكم ذاهبه بالثأر فممنهم من يخرج أبيض ناصعاً كالذهب الأبريز وممنهم من يخرج دون ذلك وممنهم من يخرج أسود محترقاً).

إن هذه المعركة لم تكن معركة قتال بقدر ما كانت معركة أعصاب إذ القتلى من الفريقين يعدون على الأصابع ولقد اتبعت في نفوس الخوارة الطلوع وأن يعيشوا موجة الأفدام والشجاعة تغلب نزعات الجبن والتردد التي يدت هنا وهناك عند ذوي الإيمان الضعيف، ولقد ظهر المؤمنون الصادقون ذوي نفوس صلبة فحينما مرت العواصف المجتاحة بهم تكسرت حدتها على من إيمانهم وتحوّلت الزوابيع رغوة وزبد.

أجل لقد هجموا على الشدائد فأخذوها قبل أن تأخذهم وعلى المستهم قول المائل: تأخرت استسقي الحياة فلم أجد لنفسى حياة ملل أن اتقدم يقولون هذا مورد قلت قد رأى ولكن نفس الحر تحتل الظلما وإسنا على الأعقاب تدمي كلوما ونحن على أقدامنا نطعن الدما لا ليت أمثنا تعلم ذلك حتى لا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

أنهم المرتابون وهم مرضى الطلوب وهم المغرورون وفيهم يقول الله تعالى: «وإذا يقول المباقون والذين في قلوبهم مرض عا وعدنا الله ورسوله إلا غرورا» ونادى فريق منهم بالرجوع إلى ديارهم واعتذروا للرسول وقالوا: إن بيوتنا غورة وما في عبورة أن يريدون إلا قرارا. أما المؤمنون الصادقون فحينما رآوا الأحزاب تتساق حول المدينة وتضيق عليها الخناق وحينما رآوا يهود بني قريظة قد انطلقوا إلى الأحزاب فلم تثر نفوسهم شعاعاً لم يجابوا الحاضر المر وهم موطوء الأمل في غد مشرق كريم وأنها محنة وسوف تزول قريباً وإنها سجالية صيف عن قريب ستنتشع، فكان موقفهم ما قصه الله علينا في قوله: «وإذا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا عا وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً» بل هناك ما يشبه الأساطير في مواقف المؤمنين الصادقين في تلك الغزوة إذ إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينما رأى الأمر قد اشتد على المسلمين أراد أن يخفف عن المسلمين ما هم فيه إذ تحمّلوا ما لم يتحمّله بشر.

تبعث إلى عبيته بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا عطفان أن يرجعا عن المدينة ولهم ثلث ثمار للمدينة واستجاب الغوم وبيدات المفاوضات وبعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى زعماء الأنصار سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج لاستشارتهما في ذلك. فقال له يا رسول الله أترا تحبه ففصتعه أم شيئاً امرك الله به لا بد من العمل به أم شيئاً تصلعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأشي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكاليومكم من كل جانب غارت أن اكسر عنكم شوكتهم إلى أمر ما. فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء الغوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعيد الله ولا نعرفه وهم لا يعظمون أن يأكلوا منها لمة إلا قرى أو بيعا.

أقبح أكرمتا الله بالإسلام وهذان له واعزنا بك وبه نعطيهام أموالنا. ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهام إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم. فقال له الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «فانت وذلك».

يقول الحق تبارك وتعالى: «وإذا رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا عا وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً» سورة الأحزاب الآية 22. تشير هذه الآية إلى غزوة الأحزاب وموقف المؤمن فيها وحاصلها أن زعماء اليهود استطاعوا أن ينجحوا في تاليد فريش وعطفان والإحابيين وزعماء القبائل على المسلمين وساروا في جيش قوامه عشرة آلاف مقاتل.

وقبل وصولهم إلى المدينة كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلم بهم واستشار أصحابه وأروا أنهم لا قبل لهم بهؤلاء إذا التحموا بهم وأشار سلمان الفارسي بغير الخندق ومكث المسلمون فرأبه يحفرون الخندق. وقبل وصول الجيش الزاحف إلى المدينة كان المسلمون قد فرغوا من تحصين مدينتهم بحفر الخندق فلما بلغت الأحزاب المدينة وأروا الخندق قالوا هذه كانت مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك ووقف جيش الأحزاب أمام الخندق. وكلما حاول بعض جندهم اقتحامه حاربهم المسلمون ولم يفلحوا في اقتحامه وسهر المسلمون ليلهم وايفلقوا ليهارهم في حراسة ومعهم رسولهم (وحينما حاولت كتيبة من الأحزاب أن تتوجه إلى منزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فالتهم المسلمون طول نهارهم إلى الليل حتى شغلوهم عن صلاة العصر كما يريدون ودعا عليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يومها وقال شغلونا على صلاة العصر مما لا يبطونهم نارا).

واستمر الحصار 20 يوما والمسلمون في دفاع مستميت عن مدينتهم (واستطاع حتى بن الخطب أن يلقن زعيم بني قريظة وأن يلكث عهده مع النبي وأن ينقلب مع الأحزاب) وزلزل المؤمنون زلازلا شديداً وأتاهم عدوهم من قوفهم ومن أسفل منهم وزادت منهم الأيصار وبلغت قلوبهم الحناجر واخذت الظنون تختلف في الله تعالى.

فلما فلقوا قالوا كلاماً قبيحاً وسخروا مما كان وعدمهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أثناء حفر الخندق حينما وعدمهم كنوز كسرى وقيصر فقالوا (يخبركم محمد بأنه يصبر من يلرب قصور الحجرة ومدائن كسرى وأنتم تحفرون الخندق وأحدنا اليوم لا يستطيع أن يبرز إلى الخلاه).